

الفصل التاسع

فى الشهداء والأنبياء

أولاً: من هم الشهداء؟

الشهداء على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: شهيد الدنيا والآخرة:

ومن قتل فى قتال الكفار بسببه، وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا.

النوع الثانى: شهيد الدنيا فقط:

وهو من قتل فى قتال الكفار بسببه، وقد غل فى الغنيمة أو قُتل مُدْبِرًا أو قاتل رياء أو نحو ذلك.

النوع الثالث: شهيد الآخرة فقط:

وهم أصناف كثيرة منها:

١ - المبطون.

٢ - المطعون.

٣ - الغريق.

٤ - صاحب الهدم.

٥ - صاحب ذات الجَنْب.

٦ - الحريق.

٧ - المرأة التى تموت وفى بطنها ولدها.

٨ - النفساء إذا ماتت فى النفاس.

٩ - القتيل فى السيل.

١٠ - الميت فى الغربة.

١١ - الميت فى السفر.

- ١٢ - الميت بالحمى.
- ١٣ - المصروع عن دابته في سبيل الله.
- ١٤ - الميت في المراقبة.
- ١٥ - المتردى في رءوس الجبال.
- ١٦ - الذى أكله السبع.
- ١٧ - الذى قتل دون ماله أو أهله أو دينه أو دمه أو مظلمته.
- ١٨ - من أمر سلطاناً جائراً بمعروف أو نهاه عن منكر، فقتله.
- ١٩ - من وقصته فرسه أو بعيره.
- ٢٠ - الملدوغ.
- ٢١ - الميت على فراشه على أى حتف شاء الله.
- ٢٢ - من قتلته الحية، وإن قتلها كانت فداءه من النار.
- ٢٣ - المسافر في البحر.
- ٢٤ - الذى يموت على فراشه في سبيل الله.
- ٢٥ - الخار عن دابته.
- ٢٦ - من حبسه السلطان ظلمًا فمات في الحبس.
- ٢٧ - من مات في الضرب.
- ٢٨ - من صبرت من النساء على الغيرة.
- ٢٩ - الذى يموت في طلب العلم.

وأضاف بعض العلماء :

- التاجر الصدوق الأمين.
- من جلب طعامًا إلى مصر من الأمصار للمسلمين.
- من سعى على امرأته وولده وما ملكت يمينه، ويقيم فيهم أمر الله ويطعمهم من حاله.
- المؤذن المحتسب كالشهداء وهم معهم.
- من اغتسل في الثلج فأصابه البرد فهو شهيد.
- من قرأ سورة الحشر حين أخذ مضطجعه فمات.
- من ماتت بكرًا ولم يمسه الرجال.

- من حلقه الحلاق بمنى، وفي رأسه تولول فقطعه فمات.

- من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقى فتنة القبر.

روى الترمذى عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث مرات آيات من آخر الحشر، وكَلَّ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسى ومات من ليلته مات شهيداً وإن مات على فراشه، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من طلب الشهادة صادقاً، أعطيها ولو لم تصبه، وقيل: إن أرواح هذا الصنف من الشهداء تكون على نهر عند باب الجنة، قال القرطبي: الأحاديث دالة على أن أرواح الشهداء خاصة فى الجنة دون غيرهم، وحديث كعب ونحوه محمول على الشهداء غير شهداء المعركة، على باب الجنة كالمبطون ونحوه.

ثانياً: مقر أرواح الشهداء:

ذكرنا أن أرواح شهداء المعارك فى حواصل طير خضر، وأما شهداء المحبة فأرواحهم وأجسامهم فى حواصل طير خضر، وأجسادهم فى الملاء الأعلى، من ذلك ما حكاه الإمام الياضى فى ((كفاية المعتقد)) عن الشيخ العارف بالله سيدى عمر بن الفارض أنه حضر جنازة رجل من الأولياء، قال: فلما صلينا عليه إذا الجو قد امتلأ بطيور خضر، فجاء طير كبير فابتلعه ثم طار!

وعن زيد بن أسلم أنه قال: كان رجل فى بنى إسرائيل قد اعتزل الناس فى كهف جبل، وكان أهل زمانه إذا قحطوا استغاثوا به، فدعا الله فسقامهم، فمات فأخذه فى جهازه، فبينما هم كذلك إذ هم بسرير يرفرف فى عنان السماء حتى انتهى إليه، فقام رجل فأخذه فوضعه على السرير فارتفع السرير وهم ينظرون إليه فى الهواء حتى غاب، وكذلك عامر بن فهيرة مولى أبى بكر بن الصديق، وقد قتل يوم بئر معونة فيمن قتل، وذلك أنه ضربه رجل فى طريقه إلى المدينة المنورة فى الطريق، وقد قتل يوم بئر معونة فيمن قتل، وذلك أنه ضربه رجل برمح فقتله، فلما انتزع الرمح، رفعت جثته نحو السماء حتى غابت، فأخبر الضحاك، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، فقال رسول الله: إن الملائكة وارت جثته وأنزل فى عليين، والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه، وقد رفع جماعة من الصحابة، وغيب جثث كثير من الصالحين.

ثالثاً: سبب تسمية الشهيد شهيداً:

قال بعض العلماء: سُمى بذلك لمعان منها:

- أن الله ورسوله شهدا له بالجنة.

- أنه يبعث وله شاهد بقتله وهو دمه، لأنه يبعث وجرحه يتفجر دمًا.

- أن ملائكة الرحمن يهدون له بالجنة، فيقبضون.

وقيل: لأنه حي، فكأن روحه شاهدة أى حاضرة، وقيل: لأنه لا يشهد عند موته إلا ملائكة الرحمة، وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار، وقيل غير ذلك، وقال بعض الأئمة: سمي شهيداً؛ لأنه مشهود له بالجنة، وقيل: لأن ملائكة الله تشهده، وقيل: لشهادته على نفسه لله تعالى حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه الله عليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: ١١١)، فاتصلت شهادة الشهيد بالحق بشهادة العبد، فسماه شهيداً.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد: (أنا شهيد على هؤلاء)؛ لبذلهم أنفسهم دونه، وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: حياة الشهداء:

قال بعض العلماء: عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح كسائر الموتى فضلاً عن الشهداء، وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حياً بها كحالاته في الدنيا أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله، ومما يجوزه العقل أن البدن يصير حياً بها كحالاته في الدنيا، وقد ذكره جماعة من العلماء، ويشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء. وقال بعضهم: اختلف في حياة الشهداء، هل للروح فقط أو للجسد معها؟ بمعنى عدم البلاء على قولين:

وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء بعدما قبضوا، ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال أبو حيان في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءُ﴾ (آل عمران: ١٦٩) إن الناس قد اختلفوا في هذه الحياة، فقال قوم: معناها بقاء أرواحهم دون أجسادهم، وذهب آخرون إلى أن الشهيد حي الجسد والروح، ولا يقدح في ذلك عدم شعورنا به، فنحن نراهم على صفة الأموات وهم أحياء، كما قال في كتابه العزيز: ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدَةً وَهُمْ يَقُومُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

وكما نرى النائم على هيئته وهو يرى في منامه ما يتنعم به أو يتألم. قال بعض المتأخرين: ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فنبه بقوله ذلك خطاباً للمؤمنين على أنهم لا يدركون الحياة بالمشاهدة والحس، وبهذا يتميز الشهيد عن غيره ولو كان المراد حياة الروح فقط لم يحصل له

تميز عن غيره لمشاركة سائر الأموات له في ذلك، ولعلم المؤمنين بأسرهم حياة كل الأرواح، فلم يكن لقوله ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ معنى. وقد يكشف الله لبعض أوليائه، فيشاهدون ذلك، وقال بعضهم: هذا للأرواح قطعاً إذ الأبدان في التراب تنتظر عود أرواحها يوم البعث.

وأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله وكل ملك الموت يقبض الأرواح إلا شهداء البحر، فإنه يتولى قبض أرواحهم، وقد أورد صدره ابن الجوزي في الموضوعات، فالقبض للروح حقيقة هو الله، وهو لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (السجدة: ١١) وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام: ٦١) وقوله جل جلاله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ (الزمر: ٤٢).

لأن إضافته التوفى إلى ملك الموت لأنه المباشر للقبض، وإلى الملائكة الذين هم أعوانه؛ لأنهم يأخذون في جذبها من البدن، فهو قابض وهم معالجون، وإلى الله لأنه الفاعل على الحقيقة.

خامساً: تلاقي الأرواح وتلاقي الأحياء مع الأرواح:

روى البيهقي في شعب الإيمان عن جندب وأبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقي آدم موسى، فقال موسى: أنت آدم الذي خلقه الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته، ثم فعلت ما فعلت، فأخرجت ذريتك من الجنة؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك وقربك نجياً؟ قال: نعم! قال: فأنا أقدم أم الذَّكْر؟ قال: بل الذكر! قال: فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى.

قال الإمام الغزالي: وقد صح أن آدم عليه السلام لقي موسى، فقال له موسى: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته، فلم عصيته؟ قال له: يا موسى أنت الذي اتخذك الله كليماً وأنزل عليك التوراة؟ فقال موسى: نعم. فقال له: في كم سنة وجدت الذنب قدر على قبل فعله؟ قال له: كتب عليك قبل أن تفعله بخمسين ألف سنة. قال: يا موسى: أفتلومني على ذنب قد قدر على قبل أن أفعله بخمسين ألف سنة؟.

وفي الحديث أنه لما مات بشر بن معرور، وجدت عليه أمه وجداً شديداً. فقالت: يا رسول الله. إنه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة، فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. والذي نفسي بيده يا أم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رءوس الشجر، فكان لا يهلك هالك من بنى سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت: يا فلان عليك السلام، فيقول: وعليك، فتقول: اقرأ على بشر بالسلم.

سادساً: حياة الأنبياء:

قال صلى الله عليه وسلم: مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره، وهذا صريح في إثبات الحياة لموسى عليه السلام، فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائماً، ومثل هذا لا يوصف به الروح، وإنما يوصف به الجسد، وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا، فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر، فإن أحداً لم يقل إن أرواحهم مسجونة في القبر مع الأجساد، وأرواح الشهداء والمؤمنين في الجنة.

وقال النبي صلوات الله وسلامه عليه: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون. وقال: إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور. وقال إمام الحرمين الجويني والإمام الرافعي: روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث)). وروى إمام الحرمين أيضاً: أكثر من يومين.

وروى ابن الزاغون الحنبلي حديثاً: أن الله لا يترك نبياً في قبره أكثر من نصف يوم. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحاً.

وعن سعيد بن المسيب: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع. قال الإمام البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء، يكونون بحيث ينزلهم الله تعالى. وقال الإمام القرطبي في التذكرة: إن الموت ليس بعدم محض، بل انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحن مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا فيه الشهداء كان الأنبياء لذلك أحق وأولى، مع أنه قد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي المساء، وقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام بما يفيدنا أن الله عز وجل يرد روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه، إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بموت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيوا عنا بحيث لا ندرკهم وإن كانوا موجودين أحياء، وكذلك كالحال في الملائكة، فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد منا إلا من خصه الله تعالى بكرامته من أوليائه، ثم قال: هكذا حكم من تقدمنا من الأمم من قتل شهيداً في سبيل الله أو قتل على الحق كالأنبياء.

وقال بعض المتأخرين: من المعلوم أن النبي عليه الصلاة والسلام في قبره وأنه لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة، وأنه لا يبعد من أكرم برؤيته أن يكرم بإزالة الحجب بينه وبينه فيراه الأولياء ويحادثونه.

قال ابن حجر: ولقد كان شيخى وشيخ والدى الشمس محمد بن أبى الحماثل يرى النبى عليه الصلاة والسلام يقظة كثيرًا حتى يقع له أنه يسأل فى الشئ، فيقول: حتى أعرضه على النبى صلوات الله وسلامه عليه، ثم يدخل رأسه فى جيبه، ثم يقول: قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما أخبر لا يتخلف ذلك أبدًا.

قال بعض الأئمة: إنه صلى الله عليه وسلم يطوف فى العوالم الثلاثة ويتصرف فيها بروحه وجسده الشريف الذى انتقل به من هذه الدار.

وقال بعضهم: وأما إخبار النبى عليه الصلاة والسلام عن رؤية الأنبياء ليلة أسرى به، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذى رآه أشباحهم وأرواحهم، قال: فإنهم أحياء عند ربهم.

وقد رأى إبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، ورأى موسى قائمًا يصلى فى قبره، وقد نعت الأنبياء بنعت الأشباح، فرأى موسى آدم ضربًا طوًّا كأنه من رجال شنوءة^(١)، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنها خرج من ديباس^(٢)، ورأى إبراهيم فشبه بنفسه، ونازعهم فى ذلك آخرون، وقالوا: هذه الرؤية إنما هى لأرواحهم دون أجسادهم، والأجساد فى الأرض قطعًا إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور، وهذه موتة ثانية، وهذا باطل قطعًا، ولو كانت قد بعثت الأجساد من القبور، لم يعدهم الله إليها، بل كانت فى الجنة.

وقد صح عن النبى عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو، وهو أول من يستفتح باب الجنة وأول من تنشق الأرض عنه على الإطلاق لم تنشق عن أحد قبله، وقد صح عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه رأى موسى قائمًا يصلى فى قبره ليلة الإسراء، ورآه فى السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن فى القبر، وإشراف عليه وتعلق به بحيث يصلى فى قبره، ويرد سلام من يسلم عليه، وهى فى الرفيق الأعلى.

وقال السيوطى: صحح كثير أن صلاته بالأنبياء كان بعد العروج، وصحح القاضى عياض أنه قبله، وقيل: إنه يحتمل أنه كان بالأرواح خاصة أو بها مع أجسادها، وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمول على رؤية أرواحهم تشكلت إلا عيسى عليه السلام؛ لأنه رفع بجسده، وكذلك إدريس أيضًا.

* * *

(١) بطنٌ من الأزد القحطانية، وهم بنو نصر بن الأزد. انظر القلقشندى. نهاية الأرب ص ٣٠٨.

(٢) أى: من الحما، والحديث: (ربعةٌ أحر كأنها خرج من ديباس) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه

الخاتمة

حاولنا في هذه الدراسة الإلمام بما جاء في الروح والنفس عند العلماء المسلمين على مختلف مشاربهم، واجتهدنا في سبيل جمع هذه المادة من مظانها الأصلية لكي تكون بقدر الإمكان جامعة شاملة لجوانب هذا الموضوع الذي يكتنف الإقبال على الخوض فيه عدة محاذير ومزالق؛ لأنه يذكرنا بالموت الذي يخشاه الناس ويخافون حدوثه وكأنهم مخلصون.

واعلم يا أخى القارئ - حفظك الله - أن الموت على رقاب العباد، وأن كل نفس ذائقة الموت، فلا تنزعج من ذكره بل استعد وافرح بلقائه، وعلى العاقل منا أن يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل، ولا يغتر بالأمل، فإن من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت. ولا تنسى قول الحكيم: ((تذكر الموت توهب لك الحياة)).
وردد معنا قول عمر الخيام في رباعياته:

لن يرجع المقـدار فـيما حـكم
وحملـك الهـم يـزيـد الأـلم
ولو حزنـت العـمر لن ينـمـحى
مـا خـطـه فى اللـوح مـر القـلـم
* * *

الـدرع لا تـمنـع سـهم الأـجل
والمـال لا يـدفعـه إن نـزل
وكل مـا فى عـيـشـنا زائـل
لا شـئ يـبقـى غـير طـيب العـمل

وما قاله الشاعر القديم:

يا من بدنياء اشتغل	قد غره طول الأمل
أو لم يزل في غفلة	حتى دنا منه الأجل
الموت يأتي بغتة	والقبر صندوق العمل
اصبر على أهوالها	لا موت إلا بالأجل

فاهنأ أخى القارئ فى دنياك وفى حياتك، ومت مستريحاً إذا حم القضاء فى ختام هذه الحياة،
وإذا ما خرجت الروح وصعدت إلى بارئها راضية مرضية.

* * *

هذا ختام هذه الرسالة فى الروح والنفس، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها خالصة
لوجهه الكريم، وسبباً للفوز يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

* * *